الأدب الإسلامي والعولمة

د. سعد أبو الرضا

إذا كانت العولمة هي محاولة احتواء الآخر ، وفرض الهيمنة عليه ، فكرياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً ، فإن الأدب الإسلامي بمفهومه الذي يشمل التعبير الجميل عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان يصبح من أهم العوامل التي تشكل العصمة من الذوبان في الآخر ، كما يحفظ لنا أصالتنا وشخصيتنا وقيمنا ، وقبل كل ذلك عقيدتنا وديننا.

إذ من المعروف أن الأدب الإسلامي من خلال فنونه المختلفة شعراً وقصة ومسرحية وغيرها يستهدف بناء الإنسان السوي بالكشف عن قيم الحق والعدل والإخلاص ، ودحض دعاوي التغريب والتبعية ، والحفاظ على اللغة العربية ، واستثمار صالح تراثنا ، لبناء حاضر مشرق زاهر ، يكون امتداداً لماضينا العريق ، ومرهصاً بمستقبل مشرق سعيد ، لأن الأثر الفني الجمالي في هذا الأدب يضاعف من التأثير الوجداني بهذه القيم ، كما يثري العقل بها ، خاصة بالنسبة لشبابنا الذين هم في أمس الحاجة لهذا الأدب إذ يقدم لهم القدوة الصالحة ، وما يروي تعطشهم للفن البناء الهادف ، في وقت تعددت فيه نماذج الأدب الهابط ، الذي لا يرعى عهداً ، ولايقيم مبدأ ، ولا يحفظ قيمة سوية.

وتتجلى أهمية ما سبق إذا ما نظرنا إلى ما يسمى بالاستثناء الفرنسي في اتفاقية « الجات » ، عندما تمسك الفرنسيون بلغتهم وثقافتهم وفنونهم في وجه محاولة العولمة وفرض هيمنتها الثقافية عليهم.

ولا يتوقف الأدب الإسلامي عند حدود الماضي فحسب ، بل هو يتصل بالمتغيرات اتصالاً إيجابياً ، بحيث يستفيد بما يضاعف من أثره في المتلقي بإثراء وسائله الفنية في الكشف والعطاء والتأثير ، حتى يحقق أهدافه في البناء والنهضة ونشر قيم الإسلام ومبادئه ، ليسعد الفرد وتتقدم الأمة ، لتكون خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتتمسك بأصالتها ، وتبني حاضرها ، مستشرفة ما يحقق السعادة لها ولكل البشر ، دون أن تبتلعها العولمة.